يعتقدون انها تبث بهم فيكونوا كلهم مع الوثنيين إلبا واحدا ، وحينئذ يتغير وجه السياسة في الهند وان كانت قوى الانكليز الادارية والسياسية والمالية والالية تكفل لهم طول زمن الاستيلاء التام على تلك الممالك الواسعة مادامت لاتخاف ان تعارضها فيه قوة خارجية ، بل هي تضم قسما كبيرا من ايران الى الهند وبلوخستان وتطمع فيما هو أعظم من ذلك والى الله المصير .

نهضة آسيوية

كتب المستشرق المجري « فامباري » الاستاذ في جامعة « بودابست » (١) في مجلة القرن التاسع عشر في عدد ابريل (نيسان) من هذه السنة بحثاً مسهباً تحت عنوان « المسلمون والبوذيون » طعن فيه بالنهضة الآسيوية عموماً وبالحركة الاسلامية خصوصاً وهو الذي كتب مقالات ضافية في مجلة القرن التاسع عشر هذه على أثر خلع السلطان عبد الحميد بسط فيها آراءه في ذلك الخليع وفي رجال الدولة العثمانية كافة وتوسم في تقسد عادات الاتراك وسلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم أقبح طعن ، ونسب الى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الاخلاق وسوء التربية وما قاله عن سعيد باشا الصدر السابق : إنه كالثعلب آية في الاحتيال والمخادعة .

وقد كانت عربت جريدة الافكار التي تصدر في البرازيل مقاله هذا في حينه وعلقت عليه تعليقاً وصفت فيه ذبذبة هذا الرجل الطائر الصيت وذكرت غشه وخداعه وتناقضه وقالت فيه مجلة المقتطف وقتئذ : ان عمل الاستاذ هذا محط بقدر العلم وعقل بشرف العلماء ،

وقالت الافكار في عدد ٦٢٨ الذي نلخص عنه هذه المقدمة ونتبعها بنقل مقالته الآنفة الذكر عنها ـ قالت :

« أمامنا الآن مثال آخر على رياء ذلك المستشرق وخداعه الرأي العام ، ونعني

« ١ » فامباري هذا كان استاذاً خصوصياً للسلطان السابق وقد أقام في قصر النجم « بلدير » زمنا طويلا وكان يطري سياسة السلطان عبد الحميد ويحط من قدر الشعوب العثمانية لما كان يتقدمه السلطان في مقابل ذلك من الدنانير العديدة ولم يكن الاستاذ ليبالي بتضليل الرأي العام الاوربي فيما كان يخدع به دائرة المعارف الفرنسية وغيرها وفامباري هذا له معرفة بكثير من البلاد الاسلامية

طعنه الحاضر بالنهضة الاسيوية عموماً والحركة الاسلامية خصوصاً وهو الذي كان سابقا يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الاسيويين قائلا بوجوب مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين . فما باله الآن يكتب قائلا « اقطعوا البرعم قبل أن يزهر ويثمر » اه

الحق أن أمثال هذا المستشرق في السياسيين والدينيين كثير في أوربة ولكن قل أن يوجد مثله في رجال العلم بمخادعته وتناقضه

على أن ذنب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً الوحيد أمام أوربة السياسية والدينية هو انا نريد أن نحيي فنحن مؤاخذون بهذا الذنب ولو لم يصل الى حيز الفعل بل قبل أن نصدو سائله ، فالويل لآسية من يوم عصيب اذا لم تنهض نهضة المستميت وتتدارك ما فات من التقصير والا فانها واقعة في حبائل أوربة الاستعمارية لا محالة وهذه هي مقالة فامباري وفيها مثال واضح من حب الانسانية وخير البشر !! العبرة لمن يعتبر قال :

﴿ المسلمون والبوذيون ﴾

العجم ، وطرابلس الغرب ، ومراكش

« ثلاثة مراكز اسلامية هوجمت بوقت واحد. فما هو سبب هذا الهجوم يا ترى ؟ أعارض فجائي هو أم ضربة سياسية مدبرة ؟ بالحقيقة ان الصليب لم يضرب الهلال ضربة أشد من هذه الضربة الحاضرة ولم يقتحم خطراً شبيهاً بالخطر الحالي

« كان الغرب منذ مئات من السنين يحارب الشرق حرباً طبيعية لا مفر منها وصار الشرق مغلوباً من بده القرن التاسع عشر وما برح مغلوباً حتى الآن والمسلمون يزيدون جهلا وفقراً وذلا مما أطمع بهم الاعداء . ورغما من قيام عدد من المفكرين فيهم فان السواد الاعظم عندهم ما زال حتى الآن غارقاً في بحار الجهل والاوهام ومصاباً بداء الفقر العضال مما حمل الناهضين منهم على اليأس فقطعوا الرجاء من الاصلاح وجلسوا بحياء ممزوج بامتعاض وغضب على مجالس الاوربي يتعلمون منه مبادئ العلوم العصرية وهم على جانب عظيم من الذكاء والمهارة . ولكن الامم كالافراد لانها مجموعة افراد . والفرد لا يتغير فجأة بل عليه أن يطرح الثوب العتيق ويؤهل ذاته لبس ثوب جديد يليق بالهيأة الحديثة . والمسلمون عموماً يصعب بل يتعذر عليهم التحول الفجائي لان عليهم اولا نبذ اعتقادات وعادات قديمة ومن ثم

تهيئة ذواتهم وتكييف طباعهم لقبول تعاليم جديدة . وأوربة ترى هذه المحاولة من جانب المسلمين منذ مئة سنة وشعوبها تقف متفرجة مسرورة من ذلك التهوس في الامم الشرقية ولكن الحكومات تقف مذعورة منها فتضع العراقيل وتزيد الصعوبات وكأنها تقول : ياشرق ! ابق خاملا جامداً فقيراً الى ما شاء الله

« تقف حكومات أوربة مذعورة تجاه نهضة الشرق هذه فتعد العدات السرية لحفظها وهي تتظاهر بوجوب حفظ الامن في تلك الاماكن الناهضة أو بوجوب تمدينها وحمايتها . والصحيح هو ان اوربة لا يهمها من التمدين ولا من شيء بل همها الوحيد هو مثلث الاركان أي : امتلاك واستعمار بلاد جديدة اولا . وفتح أسواق جديدة لمصنوعاتها ثانياً . ومد نفوذها الادبي وسطوتها السياسية ثالثاً . ولولا تحاسد الدول الاوربية ووقوف بعضها بالمرصاد لبعض الآخر لكانت آسية في قبضة أوربة منذ مئة سنة

« وقد نجح بعض دول أوربة فتحين فرصاً مناسبة وقبض يد من حديد على قليل من تلك الاملاك الآسيوية السائبة فامتلكها أو احتلها أو استعمرها . ولما تهوى البعض الآخر من دول أوربة ورأى ان تلك الغنيمة على وشك الفرار من يده فيا اذا صبر حتى يتحين فرصة قد لا تجيء مطلقاً قام فوثب بغتة على املاك اسلامية من دون حجة ظاهرة أو عذر مقبول قائلا بلسان حاله : انكم ايها المستعمرون السابقون التهمتم كثيراً فاتركوا لغيركم شيئاً من الفريسة المعدة للاقتسام . هذه هي الاسباب الحقيقية لغزوة العجم وطرابلس الغرب ومراكش ولا صحة لما تتبجح به أوربة قائلة : ان العالم الاسلامي بربري همجي وليس فيه شيء من الامن والنظام وعلينا تمدينه وحفظ الامن فيه

« بيد اننا لسوء الحظ لا نقدر على انكار شيء من هذه الحجج واعني وجود خلل في الامن والنظام ووجود الجهل والتأخر في مراكش كما في العجم وطرابلس الغرب . ففي مراكش أراض خصبة ومعادن كثيرة ولكن سكانها لا يعرفون كيف يستثمرونها ولا خلاف في ان دولة متمدنة مثل فرنسة تعرف كيف تنفع وتنتفع من هذه الخيرات الطبيعية الجزيلة في بلاد المغرب . وفي طرابلس الغرب أيضاً كان الجهل والفقر ضاربين اطنابهما ولكن هذا مهما كانت حقيقته واضحة فان الرأي العام لم يبرر عمل ايطالية بغزوتها تلك الولاية العثمانية بل أجمع على تقبيحه فدعا عمل ايطالية فرصة وخيانة وخرقاً لحرمة المعاهدات الدولية واعتداء على حقوق الامم الضعيفة والمستضعفة

«فكان بالامكان إسعاد حالة الطرابلسيين تحت حكم تركية الدستورية الجديدة ولكن من الواضح ان حالة تركية الاقتصادية والسياسية لا تؤهلها لترقية تلك الولاية بالسرعة المطلوبة كما هو المأمول من دولة أوربية مثل ايطالية (قالت الافكار من هنا بدأ الاستاذ بالتحيز الاعمى الى جانب أوربة) واذا راجعنا التاريخ نعلم ان حالة أفريقية الشمالية كلها كانت على زمن الرومانيين القدماء أفضل بكثير مما هي اليوم على زمن الحكم الاسلامي فيها . وأينما سرت في شمالي افريقية من مصر شرقاً الى مراكش غرباً ترى الخراب والدمار وسائر نتائج الاهمال والفساد . وعند ذلك لا بد لنا من أن نتساءل قائلين : ألم يحن الوقت للقضاء على تعصب العرب وبربريتهم قضاء مبرماً وسريعاً حتى نستريح من عوامل التخريب هذه ؟

«وماذا نقول عن العجم ايضاً ؟ كان الاعجام فيما مضى آية في الحذق والفطنة فصاروا في القرون الاخيرة على غاية من الانحطاط والفقر بسبب فساد حكومتهم وجهل حكامهم . وحيثما سرت في بلاد فارس ترى الفوضى والقلاقل والثورات . ولا هم للحكام الا مشاركة اللصوص وقطاع الطرق بابتزاز أموال الناس وازهاق أرواح العباد . واني لا أزال أرتجف خوفاً من ألم الذكرى التي طبعت في مخيلتي بعد ما سحت في بلاد فارس ورأيت فيها من الفظائع ما تقشعر منه الابدان . وها ان ملكوم خان سفير العجم سابقاً في باريز وابراهيم بك الفارسي كتبا ما يؤيد ما أنا بصدده الآن من فساد الحكام وجهل الرعية وهدم كل مباني العدالة والرقي في تلك الديار الخصيبة الواسعة

«أليس من العدل اذن أن تغير أوربة على بلاد مختلة مثلها كهذه ؟ فمجرد وجود دولة أوربية في بلاد فارس كاف لوجود الامن والنظام فيها ولجعل اهليها يتنشقون هواء الحرية فينهضون من سباتهم العميق ويزيحون من أمام تقدمهم واسعادهم كل عثرة كالتعصب الديني الذي كان وما برح عندهم من اكبر عوائق التمدن والترقي . وحكومات أوربة العاملة هذه الامور صار لها نحواً من مئة سنة تسعى للدخول الى الممالك الاسلامية تدريجاً ونزع استقلالها . وهكذا أصبحت كل البلدان الاسلامية تحت رحمة أوربة ولا أستثني منها الحكومة العثمانية أيضاً لان الامتيازات الاجنبية الموجودة في تركية هي وحدها كافية للدلالة على ان تركية مغلولة الايدي وتحت مطلق تصرف الدول وليس استقلالها إلا إسماً ظاهرياً

«وأمير الافغان ولئن كان متمتعاً الآن بلقب «صاحب الجلالة» ولكنه هو ذاته

أدرى من الغير بان انكلترة لم تدعه يتلذذ بهذا اللقب الا من باب المجاملات السياسية التي لا معنى حقيقياً لها على الاطلاق

«درى المسلمون هذه الحقائق فشرع المتنورون منهم يرفضون التمدن الاوربي الذي أدخلته اليهم الدول بحد السيف ويقولون انهم يؤثرون الاستبداد والظلم والفساد الوطني على التمدن والنظام والعدل الافرنجي. وها ان أفضل المفكرين منهم وخصوصاً الاتراك جهروا بافضلية حكم وطني ولو كان اقبح من حكم عبد الحميد على الحكم الاوربي مهما كان حسناً نافعاً . وخطة الاتراك هذه معقولة لانهم وهم عنصر قليل في الامة العثمانية قاموا فنادوا بالجامعة الوطنية ولا يسعهم الا الضرب على وتر الدين الحساس اولا حتى يتقووا بانضمام المسلمين العرب والاكراد اليهم . والعرب الذين حكموا العالم قروناً عديدة باسم الدين الاسلامي يسهل عليهم الاقتناع بوجوب نبذ الجامعة الدينية جانباً ما لم تجبرهم أوربة على ذلك الاقتناع بحد السيف وقابل الدفع

نهضة عامة في كل آسية

«ولما درى عقلاء المسلمين عظم الصعوبات التي امامهم قاموا اخيرا يفتشون على مخرج لهم من ذلك المأزق الضيق الذي وضعتهم اوربة فيه . وظهرت بوادر شروره عليهم في الاونة الاخيرة باكتساح العجم وطرابلس الغرب وصربا كش وضايقة حرب تركية الفتاة لدرجة متناهية فالتجأوا الى الجامعة الشرقية الوطنية وهكذا اضطر المسلمون آخراً الى مصافاة اعدائهم السابقين والى الاتحاد مع ابناء آسية عموماً ناسين الاحقاد القديمة ونابذين الضغائن السالفة التي كانت السبب الاكبر في تضعضع الشرق وضعف الشرقيين . وأول مظهر من هذه المظاهر السياسية كان اتحاد المسلمين مع البوذيين في بلاد الهند

« ان الدين الهندي يقسم الناس الى قسمين : المجوس وأهل الكتاب . فأهل الكتاب بمرفه هم النصارى واليهود وهؤلاء لهم حق الحماية والرعاية ضمن الشروط . أما المجوس وعبدة الاوثان فليس لهم ذلك الحق مطلقاً ولذلك كان سلاطين المغول المسلمون في الهند يستحلون اموال البوذيين والبراهمة وارواحهم واعراضهم ولم يتقف هذا الامر الا بعد ان احتلت انكلترة الهند واستلكتها اخيراً بحد السيف . ولذات السبب عينه هجر العجم فريق كبير من سكانها المجوس القدماء فقطنوا الهند حيث عرفوا باسم پارسي وكانوا اقوى نصير للانكليز في ثبيت قدمهم ببلاد المغول

الهندية المسلمة انتقاماً من مسلمي العجم وانني في كل سياحتي ببلاد العجم وسائر آسيا المسلمة لم أسمع من أتباع محمد سوى ذم المجوس وتحليل قتلهم وتعذيبهم . ولذلك فلا غرابة اذا كان فريق البارسي قد أيد انكلترة في الهند وكان ظاعوناً في الحروب

ومسلمو القوقاس وتركستان وخيوى والصين وبخارى على ذات العقيدة وهؤلاء كانوا يدعون اليابانيين والصينيين أيضاً مجوساً وعبدة أوثان ويضمرون لهم البغض والاحتقار . وبعد هذه المقدمات ألا يذهل القارئ عندما يعلم أن كل أولئك المسلمين يدين الآن عطفاً على أهل اليابان والصين والهند كافة و يقولون انهم هم وأتباع بوذه وبرهمه وكونفوشيوس اخوان ؟ حقاً ان هذا الاتحاد الجديد والانضمام الغريب يقضي بالعجب العجاب . ولكنه اتحاد حقيقي لا ريب في وجوده . تعرفه حكومات أوربة الآن ويتهامس به وزراؤها وراء جدران مجالسهم حاسبين له الف حساب

أو تدرون ما سبب هذا التفاهم الجديد في أهل آسيا ؟ سببه انتصار اليابان الاخير على روسية

كانت اليابان قد انتصرت سنة ١٨٩٥ على الصين فلم يعرها العالم الاسلامي ولا الآسيوي على روسيا أقل اهتمام . ولكن انتصار اليابان على روسية الاوربية سنة ١٩٠٥ كان له وقع عظيم في نفوسهم استفزهم الى النهرة الوطنية فبدأوا في الهند والصين كما في العجم وتركية يتداولون ويقولون فلننبذ كل شقاق داخلي وكل خلاف ديني من بيننا ولنقتد باختنا اليابان والاداستنا أوربة باقدامها وافقت استقلالنا وحفظت كياننا . والفضل الاكبر في هذه النهضة الوطنية الاسيوية الجديدة يعود الى المسلمين . فان المسلمين هم الذين بدأوا بايجادها وأفلحوا رغما عن الصعوبات الجيوغرافية وعن المسافات الشاسعة التي تفصل بينهم وبين املاك آسية المشتتة البعيدة . وانني لا أنسى كيف كانت تغني الصحف التركية والعربية والفارسية والهندية المسلمة بمديح طوغو ونودجي وكوركي وغيرهم من قواد اليابان الذين انتصروا على روسية . ولا أنسى أيضاً ان بعثة اسلامية سافرت الى اليابان للتبشير بدين محمد

واليابانيون المشهورون بالحنكة والدهاء حاولوا أن يربحوا من هذه الحركة الاسلامية نحوهم ولكن السلطان عبد الحميد كان أشد حنكة وأكثر دهاء منهم فلم يقع ولا بفخ من الفخاخ السياسية العديدة التي نصبها ساسة اليابان له ولما غرقت البارجة العثمانية (ارطغل) بكل من كان عليها من البحارة العثمانيين على شواطىء اليابان منذ سنوات قليلة أبدت اليابان مشاركة حاسات وروح أخوة نحو تركية جعل قصر يلدز يومئذ

أن يشعر بوجود جامعة أو صلة تربط تركية باليابان. وأوربة تعرف جيداً أن مخابرات كثيرة جرت بين طوكيو والاستانة والارجح انها لا تزال جارية الى الآن بطرق سرية وغير رسمية . واني عالم بسفر عدد كبير من شيوخ المسلمين الى الصين واليابان ومعهم مبالغ طائلة من المال ليصرفوا بسخاء على اخوانهم المسلمين في أقصى أقطار الشرق ويحملوهم على التآخي مع جيرانهم البوذيين وعلى اتخاذ الاستانة مقر الخليفة أمير المؤمنين كعبة لهم وملجأ اليهم

« ومن جملة سياحهم الشيخ سليمان شكري افندي من علماء الاناضول الذي عاد سنة ١٩٠٧ من سياحته في الهند والصين واليابان فنشر كتاباً في بطرسبورج سماه « سياحتي الكبرى » ضمنه الطعن بالحكومة الانكليزية نظراً لما رآه من صرامتها وعجرفتها التي لا تطاق وقال ان حكومة الصين أفضل وأكثر اعتدالا وتسامحاً من حكم المستعمرين الانكليز ونصح الصينيين بالانضمام الى المسلمين حتى يرفعوا عنهم نير الافرنج الثقيل وقد ظهرت بوادر الاتحاد والتفاهم بين المسلمين وأهل الصين وكانت أسبابه الجوهرية ثورهم المتبادل من شدة وطأة الحكم الاجنبي والسيطرة الاوربية الثقيلة عليهم . وبعد الحرب الروسية اليابانية صار الفريقان يجهران بهذا الاتحاد وقد كانا أولا يتهامسان به سراً فيما بينهما

« ولما نشبت الثورات الاخيرة في الصين وفي شرقي تركستان ومقاطعة يونان كان الصينيون يحسنون معاملة المسلمين لدرجة قصوى . وفي ثورة البوكرس الاخيرة التي أقلقت بال أوربة قاطبة كان للمسلمين الصينيين اليد الكبرى في الهجوم على الافرنج والاسبقية في اظهار بغضهم نحو كل ما هو أفرنجي . وقد تمادت حكومة الصين في مناصرتها للمسلمين حتى انها لم تقتصر على تأييدهم ومساعدتهم فقط بل انها أصدرت لهم جريدة في مدينة إيلي لا تزال تطبع الى اليوم باللغة التركية وخطتها حث المسلمين الصينيين على الاشتراك مع اخوانهم في الوطن سائر الصينيين عموما ضد الافرنج . وقد قرأت تلك الجريدة آخراً وهاك مثالا على ما تنشره .

(ان أوربة قد أصبحت معتدية وكثيرة التطلب منا . وطلبها مقرون بوقاحة وقطرسة. وقصدها الوحيد هو نزع استقلالنا وقتل حريتنا . فعلينا بالاتحاد والا فنينا. وعلينا باقتباس العلوم الحديثة حتى نتقوى ونثري ونستغني عن مصنوعات الافرنج كلها . اه)

وقد اتضح آخراً ان المسلمين هرعوا في الصين الى نصرة زعماء الحرية في امبراطورية ابن السماء فكانوا من أقوى العاملين على الغاء الحكم الامبراطوري وطرد عائلة المانشو المالكة وانشاء حكم جمهوري دستوري يبشر بالحرية والمساواة ولذلك فلا عجب اذا قال زعيم النهضة الصينية الجديدة الدكتور «صن يات سن» في حديث صحافي له في شهر مرسيلية ما يأتي : —

« ان الصين سوف لا تنسى ما فعله نحوها اخواننا المسلمون الصينيون من التأييد والمساعدة في سبيل اعادة الامن والحرية الى بلادنا . حقا ان أوربة تخطىء نحو الاسلام فتحسب ان الجامعة الاسلامية كالخطر الاصفر كابوسا ثقيلا على صدورها.اه

« ولم تنفرد الصين بالائتلاف مع المسلمين بل جاراها بذلك القسم الاكبر من أهل الهند الانكليزية وأعني البوذيين . وهذا التفاهم والتقرب بين هاته العناصر الشرقية يجب أن تعرفه أوربة فتعد له العدة وتحسب له الحساب . أما من حيث خطر الجامعة الاسلامية فهو قليل على ما أرجح ولكن خطر الجامعة الاسيوية أو الجامعة الشرقية فهو كبير ووجود تلك الجامعة أمر راهن لا ريب فيه

« صرفت سنوات عديدة في قصر يلدز واشرفت عن كثب على حركات عبد الحميد واعوانه فعلمت كل مساعيهم التي بذلوها في سبيل انشاء الجامعة الاسلامية ، وقرأت بعض التقارير التي قدمها بشأنها رسل عبد الحميد الى سائر انحاء العالم الاسلامي . فتحققت ان انشاء جامعة تجمع كل مسلمي الارض تحت لواء واحد وغاية واحدة هو ضرب من المحال . وما التخوف الذي تبديه أوربة من هذه الجامعة سوى تخوف وهمي . وكيف يعقل ان جميع المسلمين من سائر الاجناس والاماكن يتحدون على شيء واحد وهم متشتتون متباغضون متحاسدون ؟ نعم انه يعقل عندنا انشاء جامعة مسلمية في البلقان تحت حماية روسية كما يعقل اتحاد ايطالية والمانية ولكن لا يعقل قط اتحاد مسلمي مراكش بمسلمي العجم ولا يتم اتفاق أتباع محمد في الافغان مع أتباعه في تركية وقس على ذلك استحالة اتحاد مسلمي أفريقية مع مسلمي آسيا وهلم جرا

« ان مسلمي الهند وعددهم ٦٠ مليونا لهم تأثير محسوس عند ما ينصب الميزان فيرجحون الكفة التي يحازون اليها ، ولكن سوء حكم المغول المسلمين في الهند سابقا مع وفرة عدد الهنود غير المسلمين يكفل لنا حق النفوذ الحمدي هناك وخصوصا اذا أحسنا سياسة التفريق بين المليونا من الهندوس والبراهمة والبارسي والبوذيين ، وفضلا عن ذلك فان الحكم الانكليزي العادل في الهند جعل مسلميها مسروري الخاطر

مرتاحي البال فصار يصعب عليهم مقاومة الانكليز ومعاداتهم وأما المسلمون الموجودون تحت حكم افرنجي غير الانكليز فهم قليل العدد فقراء ضعاف لا يحسب لهم حساب

« بيد اني أوجه أنظار أوربة الى شذوذ واحد فقط وهو حالة أتباع محمد في القطر المصري ، فان النهضة المصرية الاخيرة وتكاثر عدد المسلمين في أفريقية تكاثراً متواصلا مستمراً مما يجعل المسألة الاسلامية في تلك القارة شديدة الخطر وخصوصا لان القاهرة أصبحت مبث العلوم والآداب العربية ، وها ان سماعيل غصبرنسكي وهو من أقوى المفكرين المتنورين بينهم لم يقدر على جعل الاستانة العلية مركزاً للمؤتمر الاسلامي العام الذي سعى في انشائه منذ بضع سنين بل جعل القاهرة ذلك المركز المرغوب ، نعم ان تركية قالت يومئذ انها لا تسمح للمؤتمرين بالاجتماع في عاصمتها حذراً من « ظنون سياسية » ولكن اسماعيل وأعوانه صرحوا بحذف كل مادة ترمي الى غرض سياسي من لائحة مؤتمرهم وجعلوا تلك اللائحة مقتصرة على الابحاث التعليمية والدينية فقط

« والخلاصة أن أوربة مدركة سر تفوقها على المسلمين فهي لا تحسب لجامعتهم حساباً . ولو كان اتباع محمد يتفقون حقيقة لو اجتمعوا للبحث والمداولة لكانوا اتفقوا منذ زمن طويل في مكة والمدينة حيث تجمعهم فريضة الحج سنوياً بمئات الالوف ومن سائر الاقطار والاجناس والالسنة والعناصر وحيث يسمعون الأئمة يعظونهم قائلين لهم: « انما المؤمنين أخوة » وعندي ان على المسلمين نبذ هذه الفكرة أي فكرة الجامعة المذهبية لانها لا يمكن ان تحقق كما انها لم تحقق قط عند الامم المسيحية كما ينبئنا التاريخ وافضل نصيحة أقدمها الى المسلمين هي وجوب اقتباسهم العلوم الحديثة حتى تتنور اذهانهم وتزيد ثروتهم وتحسن صناعتهم فيصيروا قادرين اذ ذاك على مقاومة أوربة عندما تنوي الدول مهاجمتهم واكتساح بلادهم عنوة واقتداراً . ولكن المسلمين لم يفعلوا ذلك الآن بل تراهم حتى اليوم يفتحون التعاليم الدينية لاجل مقاومة التعاليم الزمنية ومحاربة العلوم العصرية . ولا انكر ان الحماس الديني في العالم الاسلامي في الوقت الحاضر قد بلغ أشده . وانك اذا زرت اقصى مدن آسية واشرفت على حالة المسلمين فيها ترى الجرائد التركية والفارسية في بيت كلٍّ منهم وترى الاعلانات المالية ترسل تباعاً من الآستانة والقاهرة وقازان وبومباي الى اخوانهم الفقراء في اقصى سيبيرية والصين ! ! وامير بخارى الحالي المير حليم الذي درس في أحسن جامعة روسية لم يقو على ادخال العلوم العصرية الى بلاده لان الصحافة الدينية في بلاده

قاومته واتهمته بالكفر والزندقة وتمثلت « الافكار » بقول الشاعر

فالشر كل الشر ما بين الصائم والقلانس

ولما نشبت الحرب العثمانية الايطالية الاخيرة صرت ترى الاعلانات المالية ترد متوالية الى الآستانة من التتر والتركمان والافغان والهنود والقوقاسيين والعرب وسائر الجنسيات التي دخل اليها الاسلام . واهتمام الصحافة المسلمة قاطبة بهذه الحرب اشد بكثير من اهتمامها بالحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ . ولما قابلت مؤخراً بين مجموع التبرعات التي أرسلها اتباع محمد في الحرب الروسية العثمانية مع مجموعها الاخير في الحرب الحاضرة اعترتني دهشة وذهول لانني وجدت الفرق بين المجموعين جسيماً جداً . وهذا يعني وجود نهضة اسلامية كبيرة لا يمكن ايّا كان انكارها او التقليل من اهميتها

« وهذه النهضة ولئن قلت بعدم الاعتداد بها من الوجهة الدينية لكنني اكرر التحذير من عواقبها من الوجهة الوطنية . اي ان المسلمين في الهند بعد اتحادهم الديني عقدوا اتحاداً آخر وطنياً مع البوذيين وهم يحاولون الآن الائتلاف والتفاهم مع البراهمة . وكلما زادت غطرسة الافرنجي عندهم وكثرت مطالبه منهم كلما زادت نار بغضهم له اشتعالا . وبوادر الاتحاد ضد الحكم الاجنبي عندهم قد ظهرت في حوادث عديدة . فالصين التي كانت تحارب مسلمي مقاطعة يونان عندها صارت اليوم تصدر لهم جريدة تركية على نفقة خزينة الحكومة ، والصين التي كانت تكره ذكر محمد أصبحت اليوم تبني الجوامع وترمم الزوايا من مال الخزينة ارضاء لرعيتها المسلمة ، وهذه صارت تجهر علناً بكره النصارى وخصوصاً الافرنج منهم ، وبالاختصار أقول ان كل الجنسيات والاديان في آسية قد اتفقت آخراً ضد عدو واحد هو أوربة — اي ان الشرق ناهض وعلى الغرب ان يستعد لمقابلته في ساحة العراك ، وامام اوربة اليوم مسألة هامة هي هذه : —

أليس من الحكمة ان تدبر ضربة قوية قاضية تخمد انفاس هذه الحركة الآسيوية الحديثة وتقطع البرعم قبل ان يزهر ويثمر ، أم التحرش المستمر والتملك المتواصل بفترات متقطعة هما يكفل لنا خنق هذا الطفل وهو في مهده

أما رأيي انا فهو : « اقطفوا البرعم قبل ان يزهر فيثمر » قالت الافكار (هذا مطابق لما تقوله العرب : « اخنقوا الطفل في مهده »)